المحاضرة الخامسة: التعليمية و علاقتها بعلم النفس، علم الاجتماع، علوم التربية...

تمهيد: تترجم الصورة النهائية للعلوم الحديثة مسيرة طويلة لخطوات هامة أدّت إلى انبثاق هذه العلوم و استقلالها بمفاهيم و مصطلحات و نظريات و إجراءات تطبيقية خاصة بها، و خلال مسيرة التكوّن و التميّز و الاستقلال عادت إلى غيرها من العلوم مقتبسة و مرتفدة منها، و هو حال التعليمية التي لجأت إلى غيرها من العلوم كعلم النفس، و علم الاجتماع، و علم التربية ....

1- الحقول المعرفية المرجعية للتعليمية: لتحقيق غايات التعليمية يلجأ المشتغل فيها إلى مجموعة من الحقول المعرفية الّتي يستمد منها معطياته، وهي:

1- الحقل السيكولوجي: من نظريات التعلّم، علم النفس التكويني، علم النفس الاجتماعي، التحليل النفسي...

2- التحليل السوسيولوجي: سوسيولوجيا التربية، أنثروبولوجيا التربية، نظرية الثقافة.

3- الحقل الإبستمولوجي: نظريات المعرفة، تاريخ العلوم، المنطق...

4- حقل المادة: اللغة، الرياضيات، العلوم، الفلسفة، التاريخ...

5- حقل التربية: التقويم، القياس، فلسفة التربية، المناهج...

6- حقول أخرى: اللسانيات، نظرية المعلومات والتواصل...

وإجمالًا، يتمحور التفكير في التعليمية حول أقطاب ثلاثة هي:

1- القطب النفسي: ويختص بدراسة المتعلّم من حيث انفعالاته وتصوراته، وقدرنه على الإدراك والتفكير.

2- القطب المعرفي: ويتعلّق بالمعارف المطلوب تدريسها، وخصائصها البنيوية والوظيفة.

3- القطب البيداغوجي: ويهتم بالمعلّم من حيث تكوينه، وطرائق تدريسه، والأساليب الّتي يستخدمها أثناء مرحلة التقويم.

2- علاقة التعليمية بعلم النفس:

علم النفس هو: "الدراسة العلمية لسلوك الكائنات الحية، وخصوصا الإنسان، وذلك بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به والتحكم فيه" إذ يتناول بالوصف و التحليل كل أوجه النشاط الإنساني .

يتفرّع علم النفس إلى فروع علمية مختلفة يختصّ كلّ فرع بدراسة جانب من هذا السلوك الإنساني، و هي:

- علم النفس التجريبي: و يهتم هذا الفرع بدراسة القدرات والعمليات الإدراكية والحركية وخاصة الإدراك البصري والسمعي، والعمليات المعرفية ويعتمد صاحب هذا الفرع على التجارب لكي يدوِّن ملاحظاته واستنتاجاته.

- علم النفس الفيسيولوجي: يقوم باكتشاف الأسس الفسيولوجية للسلوك، حيث يسعى هذا الفرع إلى اكتشاف العلاقة بين العمليات الفسيولوجية والسلوك

- علم نفس النموّ: يدرس ما يطرأ على الإنسان من تغيرات خلال فترة حياته (بدء تكوينه في رحم الأم إلى أن الوفاة.

- علم النفس الاجتماعي:يختص بدراسة تأثير الجماعة على سلوك الأفراد وكذلك دراسة سلوك الفرد في الجماعة

- علم النفس التربوي: يهتم هذا الفرع بالتعليم الأكاديمي والتحصيل الدراسي.

لقد شكّل علم النفس بفروعه المختلفة مرجعا لكثير النظريات والمقاربات الّتي تشكّل مجالًا لاهتمامات الباحث في التعليمية . فالنظريات التي تعمل على تنمية آليات الاستعمال اللغوي تستند إلى خلفية معرفية، تتعلق بعلم نفس السلوك الذي يعد مظاهر السلوك الملاحظة في الكلام منطلقا لدراساته، والاستجابات نحو المثيرات المختلفة، وتتأسس المقاربات التواصلية على النظريات النفسية البنائية أو علم النفس التكويني أو المعرفي كما يسمى أحيانا، باعتبارها تعد التعلم عملية تفاعل بين الذات العارفة وموضوع المعرفة.

و يجيب علم النفس على التساؤلات المتعلّقة بالحياة التعليمية التعلّمية ويقدّم معلومات ثمينة عن الحاجات اللغوية والدوافع نحو التعلّم واستراتيجياته ،ويحاول أن يجيب عن أسئلة مثل: كيف يتلقى المتعلّم خطابا؟ وما هي أهم الصعوبات والعقبات الّتي تواجهه؟ وما هي مجمل العلاقات بين تعلّم لغة من اللغات وبين عناصرها( الشخصية، الذاكرة، الإدراك، الفهم )، وبما أنّ العملية التعليمية تقوم على التفاعل بين أطراف عديدة يعدّ المتعلّم عنصرها المركزي، فإنّ مباحث سيكولوجيا التعلّم تقدّم للباحث الديداكتيكي عديد النظريات والمقاربات الّتي يمكن الاستفادة منها وتوظيفها لتنمية آليات الاكتساب والاستعمال اللغوي. من خلال تسليطه الضوء على مراحل النمو النفسي والعقلي للمتعلّم ودراسته لقضايا الإدراك والذاكرة، والقدرة التجريدية والتعميمية والإبداعية لدى المتعلّم، وأفادت المعلّم في معرفة أهمية الدوافع والحوافز في نمو المتعلّم وتقدّمه ، بالإضافة إلى دراسة قضايا أخرى( الحالات المرضية، المعيقات النفسية، ودور السن في تعلّم اللغة، ونمو القدرة التأملية والإبداعية ).

3- علاقة التعليمية بعلم الاجتماع:

عرّف **دوركايم** علم الاجتماع بأنه: " العلم الذي يهتم بدراسة البناء الاجتماعي وما به من مؤسسات من حيث مقوماتها ووظائفها ، ويقصد بالبناء الاجتماعي هنا الجماعات الاجتماعية المستمرة والمكونة للبيئة الاجتماعية المحيطة بنا كالأسرة والمدرسة والجيرة ، والتي وجدت قبل الإنسان وستسمر بعد رحيله".

وهذا يعني أن عالم الاجتماع يهتم بدراسة الأنماط الاجتماعية التي تتكون من تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ، فهو يركز على دراسة شبكة العلاقات التي تحول تجمع مجموعة من الأفراد من مجرد تجمع طارئ إلى جماعة اجتماعية بما تشمله هذه الكلمة من علاقات وأهداف وقواعد .

استفادت التعليمية من علم الاجتماع لأنّ كلّ لغة تستمد وجودها وخصائصها عن ظروفها الاجتماعية، وعلم الاجتماع يجيب عن كثير من الأسئلة المتعلّقة بالتعليمية مثل: الاستعمالات اللغوية المختلفة( من يستعملها؟ ومع من يستعملها؟ وكيف يستعملها؟ ولماذا يستعملها؟ ، وما هي جملة القواعد الاجتماعية المتحكمة فيه ؟ وما هي الاستعمالات اللغوية الممكن استثمارها في المؤسسة التعليمية؟ وما هي الأوضاع اللغوية وغير اللغوية وأنماط التواصل الشفوي والمكتوب؟ وما تؤديه الحركات والإيماءات وأنظمة التبليغ غير اللغوي وعلاقة ذلك بطرائق التعليم. وما هي المظاهر الثقافية والحضارية لمجتمع لغوي معين مثل: الازدواجية اللغوية والتعددية وأنساق القيم والعادات والتقاليد والأعراف المعبّر عنها في محتوى لغوي مقرّر على التلاميذ في مرحلة دراسية معينة.

و يعدّ علم الاجتماع التربوي من الفروع المهمّة التي يدرس الظاهرة التربوية في نواحيها المتعددة، وفي إطار تفاعلها مع الواقع الاجتماعي المحيط بالإنسان، ويهتمُ بدراسةِ التأثيرات التربوية على الحياة الاجتماعيّة من خلال تتبّع الآثار الاجتماعيّة على الواقع التربوي ب دراسة الطرائق التربوية المُطبقة في الأسرة والمدارس، و التي تهدفُ إلى معرفة مدى التوافق بين أُسس التربية، والقيم الاجتماعيّة السائدة في المجتمع.

**4- علاقة التعليمية بعلوم التربية:**

تعدّ التربية من العلوم التي تهتمّ بدراسة الإنسان ومعرفة العلاقة الّتي تربط بينه وبين البيئة الّتي يعيش فيها، سواء أكانت هذه البيئة طبيعية أم اجتماعية، ولذلك فإنّ التربية تعمل على تنمية قدرات وإمكانات واستعدادات الفرد بالصورة الّتي تساعده على التكيّف مع البيئة الّتي يعيش فيها وما يعود عليه ومجتمعه بالخير والنماء، وعلم التربية يهتمّ بالإنسان من حيث أنّه كائن حي يعيش في مجتمع ويتعامل مع من فيه وما فيه وتتكيّف معه محاولًا التأهل لعمل ما أو مهنة معينة، وهناك علاقة وطيدة بين علم التربية والتعليمية لأن علم التربية يسهم في تكوين المتعلّم وتأدية ويساعد المتعلّم في التكوين الصحيح الناجح.

منذ ظهور علوم التربية والبحث متواصل من أجل عقلنة وترشيد العملية التعليمية التعلّمية ، ولأجل ذلك تمّ استثمار معطياته فلسفة التربية في تحديد قيمتها وإمكانياتها وحدودها، كما استثمر معطياته سيكولوجيا التربية في تحديد أساليب التعامل مع المتعلّم، ورصد الظواهر السيكولوجية السائدة داخل الفصل ،والوعي بطبيعة العلاقة بين المتعلّمين والمدرّس، وضبط عوامل تحسين مناخ الفصل ليكون أرضية ملائمة ، وأيضا استثمار معطياته سوسيولوجيا التربية لإدراك البعد الاجتماعي الّذي يتحكّم في العملية التعليمية التعلّمية ومختلف التأثيرات الّتي يحدثها فيها.

و نذكر مجموعة من المبادئ المستقاة من علم التربية التي ساعدت الممارسين للتعليم في اختيار المحتويات التعليمية - مثلا- و تنفيذها بما يتناسب مع أهداف المنهج الدراسي المتبنّى، منها:

- مبادئ تنظيم المادة التعليمية من تتابع و استمرار و تكامل.

- الضوابط التربوية عند معالجة الجوانب المختلفة للمحتوى التعليمي.

- مبادئ تتصل بوضوح المحتوى التعليمي

- مبادئ أخرى تتعلّق بمناسبة المادة المعرفية و قابليتها للتعليم.

كل هذه الاستثمارات وغيرها انعكست على العمل التعليمي داخل الفصل فصار لزامًا على الدارسين لعملية التعلّم أنّه يستحضروا عددًا من المفاهيم والتصوّرات الّتي تستند إليها الممارسة التعليمية في ضوء الديداكتيك.

خاتمة:

ساهمت كل العلوم المعرفية السابقة النظرية و التطبيقية التي جعلتها التعليمية رافدا مهمّا من روافد تأسيسها و بزوغها ثم استقلالها في بلورة هذا العلم، و قد مسّت هذه المساهمة المفاهيم و المصطلحات الدقيقة و المتخصصة، الأفكار و النظريات المعرفية، المناهج المتبعة في بناء و استثمار هذه المعرفة كذا الإجراءات المطبقة أثناء الممارسة الديداكتيكية الفعلية.

قائمة المراجع:

- أنتوني غدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت،2012.

-روبرت أس ودورث: علم النفس، ترجمة عبد الحميد كاظم، مطبعة الرشيد، بغداد ، ط1، 1965

- عبد المجيد العيساني: نظريات التعلّم و تطبيقاتها في علوم اللغة، دار الكتاب الحديث، 2012.

- عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي و تعليم العربية،دار المعرفة الجامعية، مصر،1995.

- محمود منسي: المدخل إلى علم النفس التربوي،دار كنوز المعرفة، الأردن، 2001.

- نبيل عبد الهادي: علم الاجتماع التربوي،دار اليازوري، الأردن، 2009.